كامل كيلانى

قصص هندية

خاتم الذكرى

الطبعة الحادية عشرة



دار المعارف

الناشر : دار المعارف - ١١١٩ كورنيش النيل - القاهرة ج . م . ع

١ — فى الغــــابة

كانَ الْمَلِكُ « دَشْيَنْتا » مَحْبُوبًا مِنْ رَعِيَّتِهِ ، لِما عُرِفَ بِهِ مِنَ الإِسْتِقامَةِ والْعَدْلِ . وكانَ مُولَعًا بِالصَّيْدِ ، جارِيًا — فى ذٰلِكَ — عَلَى عادَةِ الْمُلُوكِ فى عَصْرِهِ .

وفى ذاتِ يَوْمٍ ، خَرَجَ الْمَلِكُ « دَشْيَنْتا » لِلصَّيْدِ — مَعَ بَعْضِ حاشِيَتِهِ — فَلَمَّا بَلَغُوا إِحْدَى الْغاباتِ الْواسِعَةِ ، واصَلُوا الصَّيْدَ إِلى مُنْتَصَفِ النَّهارِ ، ثُمَّ اسْتَراحُوا قَلِيلاً . وعَنَّ لِلْمَلِكِ « دَشْيَنْتا » أَنْ يَنْفَصِلَ عَنْ أَتْباعِهِ ، ويَجُولَ وحْدَهُ فى الْغابةِ ، بَيْنَ أَشْجارِها الضَّخْمَةِ ، وشُجَيْراتِها الْمُنَوَّرَةِ بِالْأَزْهارِ الْبَهِيجَةِ .

٢ — الزّاهدُ « كَنْفا »

وما زالَ يَنْتَقِلُ فيها مَسْرُورًا بِجَمالِ الطَّبِيعَةِ ، حَتَّى بَلَغَ أَجَمَةً (مَكانًا مَمْلُوءًا بِالشَّجَرِ الْمُلْتَفِّ) . وقدِ انتَهَتْ بِهِ الأَجَمَةُ إِلى بيْتٍ صَغيرٍ

لناسِكٍ منَ النُّسَّاكِ ، الَّذِينَ يواصِلُون عِبادَتَهُمْ مُعْتَزِلِينَ النَّاسَ . وهُو كَبيرُ السِّنِّ ، يُسَمَّى : الشَّيْخَ « كَنْفا » : عُرِفَ بِالْوَرَعِ والتَّقْوَى ، وجَمَعَ بَيْنَ الْعِلْمِ والْعَمَلِ .

٣ – بَيْتُ الزَّاهِـــدِ

فَلَمَّا اقْتَرَبَ الْملِكُ « دَشْيَنْتا » منْ صَوْمَعَةِ النّاسِكِ (بَيْتِهِ الصَّغيرِ) أَدْهَشَهُ ما رَآهُ حَوْلَها منْ جَمالٍ وادِعٍ ، ونَسِيمٍ عَلِيلٍ ، يُعَطِّرُ الْجَوَّ بِما يَحْمِلُهُ منَ الرَّائِحَةِ الذَّكِيَّةِ ، الْمُنْبَعِثَةِ مِنْ أَزْهارِ الْياسَمِينِ . وقَدْ شاعَ الطَّرَبُ والْمَرَحُ فى جَوِّ الْغابَةِ ، فَغَمَرَ كلَّ ما تَحْوِيهِ منْ أَطْيارٍ وَأَشْجارٍ ، فَغَنَّتِ الطُّيُورُ ، ورَقَصَتِ الْأَغْصانُ ، وازْدانَ الْمكانُ بِقَناةٍ تَحُفُّ بها – منْ جانِبَيْها – أَزْهارُ اللُّوتَسِ مُمْتَدَّةً ، حَتَّى تَبْلُغَ صَوْمَعَةَ النَّاسِكِ .

٤ – فَتاةُ الْغـابَةِ

ورَأَى الْمَلِكُ « دَشْيَنْتا » أَنْ يَنْتَهِزَ هٰـذه الْفُرْصَةَ ، لِيَزُورَ ذٰلكَ النَّاسِكَ الَّذِى طالَما سَمِعَ بِزُهْدِهِ وَتَقْوَاهُ . ولٰـكِنَّهُ لَمْ يَكَدْ يَدْخُلُ

الصَّوْمَعَةَ حَتَّى وجَدَها خالِيَةً لا عَرِيبَ بِها (لَيْس فيها أحدٌ) .

فَأسِفَ عَلى ضَياعِ هٰذِهِ الفُرْصَةِ ، وهَمَّ بِتَرْكِ الأَجَمَةِ ، لٰكِنَّهُ أرادَ — قَبْلَ أَنْ يُغادِرَها — أنْ يَجْمَعَ طاقَةً مِنَ الأَزْهارِ الْبَدِيعَةِ الَّتى تَكْتَنِفُها (تُحِيطُ بها) .

وإذا بِصَوْتٍ لَطِيفٍ، يُناديهِ : « تَفَضَّلْ — يا سَيِّدِى — عَلى الرُّحْبِ والسَّعَةِ ! »

فَتَلَفَّتَ الْمَلِكُ إلى مَصْدَرِ الصَّوْتِ ، فَرَأى فَتاةً تُدانِيهِ (تقْتَرِبُ مِنْهُ) ، فى أَدَبٍ رائِعٍ ، وقد أَشَعَّ وجْهُها (نَشَرَ نُورَهُ) فى تِلكَ الْغابَةِ ، بِرَغْمِ حَقارَةِ مَلْبَسِها ، الْمَصْنُوعِ مِنْ قِشْرِ الشَّجَرِ . وأُعْجِبَ الْمَلِكُ « دَشْيَنْتا » بِما تَمَيَّزَتْ بِهِ تلكَ الْفَتاةُ من جَمالِ الْخَلْقِ والْخُلُقِ (حُسْنِ الصُّورَةِ ، ولُطْفِ الطَّبْعِ) .

ولمْ يَدْهَشْ لِذٰلكَ ، فَقَدْ عَرَفَ أَنَّ فَتاةً تَعيشُ فى صَوْمَعَةِ ذٰلكَ الزَّاهِدِ الْوَرِعِ ، لا يُسْتَغْرَبُ مِنْها أَنْ تَكُونَ أَطْهَرَ الْفَتَياتِ قَلْبًا ، وأَكْرَمَهُنَّ نَفْسًا .

٥ — كَرَمُ الفَتاةِ

فَسَأَلَها مُتَلَطِّفًا :

« أَهُنا يَقْطُنُ الشَّيْخُ الْعَظِيمُ « كِنْفا » ؟ » فَأَجابَتْهُ قائِلَةً :

« نَعَمْ يا مَوْلاىَ . ولٰكِنَّهُ سافَرَ إلى الْحَجِّ — مُنْذُ أيّامٍ — وقَدْ عَهِدَ إلَىَّ أنْ أَسْتَقْبِلَ ضُيُوفَهُ ومُرِيدِيهِ . فَهَلْ يَأْذَنُ مَوْلاىَ أنْ يَسْتَرِيحَ فى دارِنا قَلِيلًا ؟ »

فأَجابَها إلى طِلْبَتِها مَسْرُورًا . وأَسْرَعَتِ الْفَتاةُ فَأَحْضَرَتْ لهُ الْماءَ الْعَذْبَ ، وشَيْئًا مِنْ لَذائِذِ الْفاكِهَةِ ، وطَيِّباتِ الثَّمَرِ ، لِتُنْعِشَه . ولَمْ تَدَّخِرْ وُسْعًا فى الْحَفاوةِ بِهِ ، فَامْتَلأَ قَلْبُهُ شُكْرًا ، لِحُسْنِ أَدَبِها ، وكَرَمِ ضِيافَتِها ، مَعَ أَنَّها تَجْهَلُ — كَما يَدُلُّ مَظْهَرُها — مَكانَةَ ضَيْفِها ، ولا تَعْلَمُ أَنّهُ مَلِكُ تِلْكَ الْبِلادِ .

ولَمْ يَشَإِ الْمَلِكُ أنْ يُخْبِرَها بِحَقِيقَةِ أَمْرِهِ ، فَتَظاهَرَ بِأَنَّهُ صَيّادٌ مِنْ عامَّةِ الصَّيّادِينَ الَّذِينَ يَرْتادُونَ الْغابَةَ .

٦ — حدِيثُ الفَتاةِ

وقَدْ سَأَلَ الْفَتاةَ عَنِ اسْمِها ، فَقالَتْ : « إنّنِي أُسَمَّى « ساكُنْتالا » . »

فطَلَب إليْها أنْ تَزِيدَهُ مَعرِفَةً بِأَمْرِها ، فقالَتْ : « إنّ الشّيْخَ « كَنْفا » قَدْ تبنّانِى مُنْذُ نَشَأْتُ ، فما أعْرِفُ لِى والِدًا غيْرَهُ ، لِأنّنى تيَتّمْتُ — فى طُفولَتى — فكَفَلَنى هٰذا الشّيْخُ الكَرِيمُ القَلْب . »

وقَدْ عرَفَ المَلِكُ — مِنْ حِوارِها — أنّها مِنْ أُسْرَةٍ غَنِيّةٍ ماجِدَةٍ ، ولٰكِنّها راضِيَةٌ بِتِلْكَ الحَياةِ الوادِعَةِ البَسِيطَةِ ، الّتِى تَحْياها فى الغابَةِ النّائِيَةِ ، بَيْنَ الأَطْيارِ ذاتِ الأَلْحانِ الشّجِيّةِ ، والأَزْهارِ ذاتِ العُطورِ الذّكِيّةِ . وكانَ المَلِكُ — كلّما حادَثَها — تَكَشّفَ له — مِنْ حُسْنِ تَفْكِيرِها ، وأَصالَةِ رَأْيِها — ما زادَهُ إعْجابًا بِها وإِكْبارًا لَها .

٧ — عَرُوسُ المَلِكِ

فَلَمّا وَدّعها رَجَعَ إلى حاشِيَتِهِ ، وأَمَرَهُمْ أنْ يَضْرِبُوا خِيامَهُمْ فى مَكانٍ بَعِيدٍ عَنِ الصّوْمَعَةِ . وظل يَذْهَبُ إلى الأَجَمَةِ — كُلّ يَوْمٍ — حَيْثُ يَلْتَقِى بِتِلْكَ النّاسِكَةِ المُهَذّبَةِ ، حَتّى وَثِقَ بِها الوُثُوقَ كُلّهُ ، وعرَفَ أنّها أَكْمَلُ فَتاةٍ فى مَمْلَكَتِهِ ، فَلَمْ يَخْتَرْ عَرُوسًا غَيْرَها ، فَلَما أخْبَرَها أنّهُ مَلِكُ البِلادِ ، وأنّهُ اعْتَزَمَ الزّواجَ بها ، لَمْ تَجْرُؤْ عَلَى رَفْضِ أمْرِهِ ،

بَلِ الْتَمَسَتْ مِنْهُ أَلَّا يَأْخُذَها إلى مَمْلَكتِهِ إلَّا بَعْدَ أنْ يَعُودَ أبُوها مِنْ حَجِّهِ . فوَعَدَها بذٰلِكَ .

وَفى الْيَوْمِ التَّالى جَمَعَ الْملِكُ الْحاشِيَةَ ، وأقامَ حَفْلَةَ الْعُرْسِ فى تِلكَ الْأَجَمَةِ . وَعاش مَعَ زَوْجِهِ أيَّامًا ، ثُمَّ ودَّعها على أنْ يَعُودَ إليْها بَعْدَ زَمَنٍ قَلِيلٍ ، لِأن واجِبَ شَعْبِهِ يَحْتِمُ (يُوجِبُ) عَلَيْهِ أنْ يُعْنى بِشُئُونِهِ .

٨ – حَدِيثُ الزَّوْجَيْنِ

وَقَدْ عَرضَ عَلَيْها الْمَلِكُ « دَشْيَنْتا » أنْ تَعُودَ مَعَهُ إلى قَصْرِهِ ، مِلكةً على رَعِيَّتِهِ ، وتَرَى ما أعدَّهُ لَها من ثَمِينِ الْحُلِيِّ ، وفاخِرِ الثِّيابِ . ولٰكِنَّها ذَكَّرَتْهُ بِوَعْدِهِ ، قائلَةً : « لَيْسَ فى قُدْرَتى أنْ أَتْرُكَ الْغابَةَ قَبْلَ أَنْ أُخْبِرَ والِدِى الْعَزِيزَ – الشَّيْخَ «كَنْفا» – بِزَواجِنا . كما أَنَّنِى لا أَسْتَطِيعُ أنْ أتْرُكَ صَوْمَعَتَهُ خالِيَةً حَتَّى لا يَرْجِعَ ضُيُوفُهُ ، دُونَ أَنْ يَجِدُوا مَنْ يُعْنَى بِشُئُونِهِمْ . والرَّأْيُ أنْ تَعُودَ وحْدَكَ إلى قَصْرِكَ ، ومتَى جِئْتَ فى الْمَرَّةِ الْقادِمَةِ ، اسْتَأْذَنْتُ أبى فى ذٰلِكَ . »

٩ – الْخاتَمُ الْمَسْحُورُ

فَأقرَّ الْمَلِكُ رَأْيَها السَّدِيدَ ، ووضَعَ فى إصْبَعِها خاتَمًا مَسْحُورًا ،

مَنْقُوشًا عَلَيْهِ اسْمُ « دَشْيَنْتا » ، وودَّعها بَعْدَ أَنْ وعَدَها بِالْعَوْدَةِ إلى أبيها - بَعْدَ زَمَنٍ قَلِيلٍ .

ولَمْ يَكدِ الْمَلِكُ يُسافِرُ ، حَتَّىٰ شَعَرَتْ « ساكُنْتالا » — دُونَ أَنْ تَعْرِفَ سَبَبَ ذٰلِكَ — أَنَّ أَيَّامَ الشَّقاء مُقْبِلَةٌ عَلَيْها ، قَرِيبَةٌ مِنها ، وأَنَّ أَيَّامَ السَّعادَةِ لنْ تَعُودَ .

١٠ — السَّاحِرُ الهِنْدِيُّ

وسارَتْ مَعَ زَوْجِها الْمَلِكِ مَسافةً طَوِيلَةً ، ثُمَّ عادَتْ فى الْمَساء — بَعْدَ تَوْدِيعِه — إلى صَوْمَعَتِها ، ولَمْ تَدْرِ ما يَخْبَؤُهُ لَها الْقَدَرُ مِنْ سُوء الْبَخْتِ ، ونَكَدِ الْحَظِّ . وَلا تَسَلْ عَنْ حُزْنِها حِينَ رَأَتِ السَّاحِرَ الْهِنْدِيَّ العظيمَ «دُرْفاسيسَ» يَهُمُّ بالْخُرُوجِ مِنْ دارِها غاضِبًا ، بَعْدَ أَنْ مَكَثَ فِيها وقْتًا ، دُونَ أَنْ يَحْتَفِلَ بِمَقْدَمِه أَحَدٌ .



فَأَيقَنَ أَنَّ أَهْلَ الدّارِ قدْ أنْكَروهُ (أهْمَلوهُ)، واسْتهانُوا بِخَطَرِهِ. وحاوَلَتْ - «ساكُنْتالا» جاهِدَةً أنْ تُسَرِّىَ عَنْ نَفْسِهِ، ضارِعَةً إليْهِ أنْ يَتَجاوَزَ عَنْ خَطَئِها الّذِى لَمْ تَتَعَمَّدْهُ، مُتوَسِّلةً - والدُّموعُ فى عَيْنَيْها - أنْ يَغْفِرَ لَها ذَنْبَها، وَيَقْبَلَ ضِيافَتَها. ولٰكِنَّ السّاحِرَ «دَرْفاسِيسَ» كانَ جافِىَ الطَّبْعِ، فلَمْ يَقْبلْ عُذْرَها، بَلْ دَفَعها بِقُوَّةٍ، وخَرَجَ مِنَ الصَّوْمَعَةِ مُغْتاظًا حَنِقًا.



١١ - لَعْنَةُ السّاحِرِ

أَراكَ تَسْأَلُنى: «مَنْ هُوَ هٰذا الرَّجُلُ؟»

فَاعْلَمْ - يا بُنَىَّ - أَنَّهُ كانَ أَكْبَرَ ساحِرٍ فى عَصْرِهِ. وكانَ لا يَغْفِرُ الإساءَةَ. ولَمْ يَكُنْ أَحَدٌ - فى الأَقْطارِ الهِنْدِيَّةِ كلِّها - يَسْتَطِيعُ أنْ يَقِفَ فى وَجْهِهِ.

ولَقَدِ اضْطَرَبَتْ « ساكُنْتالا » حينَ اقْتَرَفَتْ ذٰلكَ الْجُرْمَ الْكَبيرَ ، وهِيَ عالِمَةٌ أنَّ التَّقاليدَ الْهِنْدِيَّةَ لا تَرْحَمُ مَنْ يُقَصِّرُ فى تَكْريمِ ضَيْفِهِ ، كما تَرَى أنَّ رَحيلَ الضَّيْفِ — دونَ أنْ يُشَرِّفَ الدّارَ — ذَنْبٌ غيْرُ مُغْتَفَرٍ . فَكَيْفَ بِمَنْ كانَ فى مِثْلِ مَنْزِلَةِ ساحِرِنا الْعَظيمِ ؟

فَباتَتْ مُسَهَّدَةً (ساهِرَةً) طولَ لَيْلِها ، بعْدَ أنْ سَمِعَتْ ساحِرَ الْهِنْدِ يَلْعَنُها وهُوَ خارِجٌ ، وأيْقَنَتْ أنَّ حُزْنَها سيَطُولُ .

١٢ — ضَياعُ الْخاتَمِ

وما أَسْرَعَ ما صَدَّقَتِ الْحَوادِثُ ظَنَّها ، فَقَدِ انْفَصَمَ — مِنْ إصْبَعِها — الْخاتَمُ الْمَسْحُورُ الَّذِى أهْداهُ إلَيْها زَوْجُها ، ووَقَعَ فى القَناةِ الَّتى كانَتْ تَسْتَحِمُّ فيها ، وحَمَلَهُ الْماءُ إلى مكانٍ بَعيدٍ . وبَحَثَتْ عنْهُ طَويلاً فلَمْ تَعْثُرْ لهُ علَى أَثَرٍ .

فَبَكَتْ بُكاءً مُرًّا ، وأحَسَّتْ أنَّ الْمُسْتَقْبَلَ يُكِنُّ لَها — بعْدَ لَعْنَةِ السّاحِرِ — نَكْبَةً لا قِبَلَ لَها باحْتِمالِها .

١٣ — عَوْدَةُ الشَّيْخِ « كَنْفا »

وقدْ كادَ الْحُزْنُ يُهْلِكُها ، لَوْلا أنَّ الشَّيْخَ « كَنْفا » عادَ فى ذٰلكَ الْيَوْمِ

مِنْ حَجِّهِ ، وبارَكَ لَها زَواجَها الْمُوَفَّقَ ، بَعْدَ أنْ أخْبَرَتْهُ بِقِصَّةِ الْمَلِكِ — الْعادلِ مَعَها .

* * *

وقالَ لَها مُهَنِّئًا ، فيما قالَ :

« لَقَدْ شَرَّفَكِ الْمَلِكُ بِذٰلكِ التَّكْريمِ . وإنِّى لَأَرْجُو أنْ يَعُودَ إلَيْكِ قَرِيبًا ، لِأُقَدِّمَكِ إلَيْهِ مُبْتَهِجًا مَحْبورًا (مَسْرُورًا) . »

١ — وساوسُ الْحُزنِ

ومَضَتِ الْأَيَّامُ بَطِيئَةً ثقِيلَةَ الْخُطى ، لِأَنَّ أيَّامَ الشَّقاء تَمرُّ — لِطُولِها — كأَنَّها سَنَواتٌ ، وأيّامَ السَّعادةِ تَمُرُّ مُسْرِعَةً كأَنَّما هِيَ لَحَظاتٌ.

وتَرَقَّبَتِ الزَّوْجُ أنْ يَعودَ إليْها زَوْجُها أوْ يُرْسِلَ إلَيْها رسولًا مِنْ قِبَلِهِ ، فَلَمْ تَظفَرْ مِنْ ذٰلكَ بِطائِلٍ . فَساوَرتْها (بادَرَتْها وأسْرَعَتْ إلَيْها) الْهُمومُ والْهَواجِسُ ، وخَشِيَتْ أنْ يَكونَ مَريضًا ، أوْ نادمًا علَى تَسَرُّعِهِ فى الزَّواجِ ؛ وإلَّا فما بالُهُ لَمْ يَفِ بِوَعْدِهِ لَها !

ولَمَّا طالتْ غَيْبَتُهُ ، شارَكَها والِدُها فى قَلَقِها على زَوْجِها وقال لها :

« إنَّ واجِبَ الزَّوْجِ يَحْتِمُ عَلَيْكِ أنْ تَفِى لِزَوْجِكِ حتَّى تَبْرَئِى مِنَ التَّقْصِيرِ فى أداءِ هٰذا الواجِبِ . ولَوْلا أنَّنى لا أسْتَطِيعُ مُبارحةَ الصَّوْمَعَةِ ، لَذَهَبْتُ مَعكِ إلَى قَصْرِهِ . »

٢ — رِحْلَة « ساكُنْتالا »

فَلَمْ تَجْرُؤْ عَلَى مُخالَفَةِ أبيها . عَلى أنَّ قَلْبَها كانَ يُحَدِّثُها بِشَرٍّ كَبيرٍ :

أَلَمْ يَقُلْ لَها زَوْجُها : « انْتَظِرِينِي حتَّى أَعُودَ إليكِ بَعْدَ أَيَّامٍ قَلِيلَةٍ . » فما بالُها تَذْهَبُ إلَيْهِ ولا تَنْتَظِرُ ؟ وَما بالُها تَنْتَظِرُهُ فلا يَعُودُ إليْها ؟

فَوَدَّعَتْ والِدَها ، ورَحَلَتْ خِلالَ تِلْكَ الْغابَةِ الْواسِعَةِ — أَوَّلَ مَرَّةٍ فى حَياتِها — قاصِدَةً إِلَى قَصْرِ الْمَلِكِ ، فَبَلَغَتْهُ بَعْدَ أَيَّامٍ .

٣ — لِقاءُ الزَّوْجَيْنِ

والْتَمَسَتِ الْإِذْنَ بالْمُثولِ (الْوُقُوفِ) بَيْنَ يَدَيْهِ ، لِأَنَّها تَحْمِلُ إِلَيْهِ أَنْباءً خَطِيرَةً . فَلَمَّا دَخَلَتْ أَسْرَعَتْ دَقَّاتُ قَلْبِها حِينَ رَأَتْهُ جالِسًا عَلَى عَرْشِهِ ، ولَمَحَتْ وَجْهَهُ مِنْ خِلالِ خِمارِها (قِناعِها) الْكَثِيفِ . فَسَأَلَها «دَشْيَنْتا » مُتَرَفِّقًا : « ماذا تُرِيدِينَ؟ » فَتَهَلَّلَ وجْهُها فَرَحًا وأَمَلاً ، حِينَ سَمِعَتْ صَوْتَهُ . وطَوَّحَتْ بِخِمارِها إلى الْخَلْفِ ، لِتُظْهِرَ لَهُ وجْهَها ، ثُمَّ قالَتْ : « لا تَعْجَبْ مِنْ مَجِيئِى إِلَيْكَ — يا مَوْلاىَ — فَقَدِ اضْطُرِرْتُ إِلَى الْبَحْثِ عَنْكَ ، حِينَ تَأَخَّرْتَ فِى إِنْجازِ وَعْدِكَ . »

٤ — دَهْشَةُ الْمَلِكِ

فاسْتَوْلَى الذُّهولُ (النِّسْيانُ) عَلَى « دَشْيَنْتا » وصاحَ مُتَحَيِّرًا : « أَىُّ وَعْدٍ يا فَتاةُ ؟ مَنْ أَنْتِ ؟ وَماذا تَعْنِينَ ؟ »



فقالت له متحسرة: «واه يا دشينتا! أتسخر مني؟ أنسيت زوجك التي تركتها في الغابة؟» فاشتدت حيرة «دشينتا» وقال لها:
«أي زوج تعنين، وأنا لم أرك قبل هذا اليوم قط؟»

٥ – حيرة «ساكنتالا»

فاشتدت حيرة «ساكنتالا»، ولم تستطع أن تصدق ما تسمعه أذناها. وحدثت نفسها بصوت خافت (منخفض):
«لقد خفت أن يكون قد ندم على زواجه السريع، ولكن لم أتوقع أن يجرؤ على إنكاري.»

وأرادت الفتاة أن تتمادى في مناقشتها، فقاطعها الملك قائلاً: «ما أظن هذه الفتاة إلا معتوهة أو مخادعة!»

فلما يئست الفتاة منه، خرجت باكية، هائمة على وجهها (متحيرة لا تدري أين تتوجه).

٦ – سر النسيان

لا شك في أنك دهشت – كما دهشت الفتاة الناسكة – من قسوة

ذٰلِكَ الْمَلِكِ ومَكْرِهِ ، وَإِصْرارِهِ عَلَى إِنْكارِ « ساكُنْتالا » ! عَلَى أَنَّ الْمَلِكَ – « دشْيَنْتا » لَمْ يَكُنْ ماكِرًا ولا مُتَجاهِلًا ، بَلْ كانَ صادِقًا ، يَقولُ مايَعْتَقِدُ .

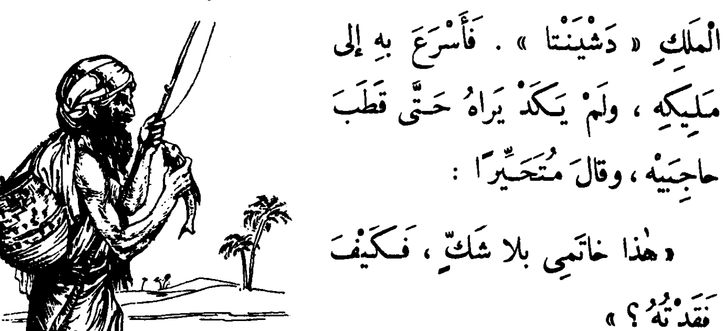
فَهُوَ قَدْ نَسِيَ «ساكُنْتالا» نِسْيانًا تامًّا . وكانتْ لَعْنَةُ الْحَكيمِ السَّاحِرِ ، سَبَبًا فِي شَقاءِ النَّاسِكَةِ التَّاعِسَةِ . وقَدْ أَفْقَدَها الْخاتَمَ الْمَسْحورَ الّذِي أَهْداهُ إِلَيْها الْمَلِكُ ، فاسْتَوْلَى النِّسْيانُ عَلَى ذاكِرَتِهِ ، حتَّى عَجزَ عَنْ تَذَكُّرِها وهِيَ ماثِلَةٌ (واقِفَةٌ) أَمامَهُ . ولَمْ يَكُنْ فِي وُسْعِ أَحَدٍ – مِنَ الْإِنْسِ وَلا مِنَ الْجِنِّ – أَنْ يَغْلِبَ السَّاحِرَ عَلَى أَمْرِهِ .

ولَقَدْ نَدِمَ الْمَلِكُ « دشْيَنْتا » عَلَى غِلْظَتِهِ مَعَ الْفَتاةِ ، ووَدَّ لَوْ تَلَطَّفَ فِي مُعامَلَتِها ، بِرَغْمِ جَهْلِهِ إِيَّاها ، لِأَنَّهُ أَيْقَنَ أَنَّ هُناكَ سِرًّا مَحْجُوبًا ، لَمْ يَتَبَيَّنْهُ – فيما بَعْدُ – إِلّا بِمُصادَفَةٍ عَجِيبَةٍ .

٧ – خاتَمُ الذِّكْرَى

مَرَّتْ سَنَواتٌ عَلَى ذٰلِكَ الْحادِثِ الْمُؤْلِمِ ، ثُمَّ ماتَ السَّاحِرُ الْهِنْدِيُّ ، فارْتَفَعَ الشَّقاءُ ، وزالَتِ اللَّعْنَةُ ، وظَفِرَ أَحدُ الصَّيَّادِينَ بِسَمَكَةٍ جَمِيلَةٍ اصْطادَها مِنَ النَّهْرِ .

فَلمَّا شقّها ، رَأَى – فى جَوْفِها – خاتَمًا ذَهَبِيًّا ، مَنْقوشًا عَلَيْهِ اسْمُ الْمَلِكِ « دَشْيَنْتا » . فَأَسْرَعَ بِهِ إلى مَلِيكِهِ ، ولَمْ يَكَدْ يَراهُ حَتَّى قَطَبَ حاجِبَيْه ، وقالَ مُتَحَيِّرًا :



« هٰذا خاتَمِي بلا شَكٍّ ، فَكَيْفَ فَقَدْتُهُ ؟ »

ثم وضَعَ الْخاتَمَ فى إِصْبَعِهِ ، فَخُيِّلَ إِلَيْه أَنَّ سُحُبًا تَرْتَفِعُ ، بَعْدَ أَنْ كانَتْ مُخَيِّمَةً عَلَى ذاكِرَتِهِ . فَصَحا مِنْ ذهوله ، وكادَ قَلْبُهُ يَتَمَزَّقُ إِشْفاقًا عَلَى النّاسِكَةِ التَّاعِسَةِ .

واعْتَزَمَ البَحْثَ عَنْها فى كُلِّ مَكانٍ ، وشَكَرَ لِلصَّيَّادِ هَدِيَّتَهُ النَّفيسَةَ وَأَجْزَلَ لَهُ مُكافأَتَهُ .

ثُمَّ أعَدَّ عُدَّتَهُ لِرَحيلٍ طويلٍ .

الفصل الثالث

١ — ذُهولُ « دَشْيَنْتا »

كانَ أوَّلَ ما فَكَّرَ فيهِ « دَشْيَنْتا » أنْ ذَهَبَ إلى صَوْمَعةِ الشَّيْخِ « كَنْفا » : والدِ زَوْجِهِ . فَلمَّا بلغها ، رَآها خاليةً لا يَسْكُنُها أحَدٌ . ثُمَّ عَلِمَ أنَّهُ ماتَ مُنْذُ أعْوامٍ . فظَلَّ يَبْحَثُ عَنْ زَوْجِهِ النَّاسِكَةِ في كُلِّ مكان ، فَلَمْ يَعْثُرْ لَها على أثَر .

فأيْقَنَ أنَّ تِلْكَ التَّاعِسَةَ الْمِسْكِينَةَ قَدْ هَلَكَتْ حُزْنًا — بِلا شَكٍّ — أو الْتَهمتْها الْوُحوشُ الضَّارِيَةُ .

فَلَمْ يُفِقْ مِنْ ذُهولِهِ — لَيْلَ نَهارَ — وشارَكَهُ الشَّعْبُ في حُزْنِهِ ، دُونَ أنْ يَعْرِفَ سَبَبَهُ .

٢ — الْعرَبَةُ الطَّائِرةُ

وذا صَباحٍ ، بَيْنَما كانَ « دَشْيَنْتا » يَسِيرُ في حدِيقَتِهِ مُسْتَغرِقًا في هُمومِهِ ، مُتَحَسِّرًا على أيَّامِ السَّعادَةِ الَّتِي قَضاها مَعَ النَّاسِكَةِ في الْغابَةِ

– مُنْذُ سَنَواتٍ – إذْ رأَى شَيْئًا يَلْمعُ فِي السَّماء ، وهُوَ أَشْبَهُ بِطائرٍ عَظِيمٍ يَقْتَرِبُ مِنْهُ . فلمَّا داناهُ (قَرُبَ مِنْهُ) ، إذا بِهِ يرَى مَرْكَبَةً تَجُرُّها جِيادٌ مِنَ الْجِنِّ ، تَجْرِي مُتَبَخْتِرَةً فِي مِشْيَتِها . وقَدْ أَمْسَكَ بِلُجُمِ الْخَيْلِ سائقٌ – لا يَعْرِفُه عالَمُنا الإنْسِيُّ – ويُخَيَّلُ إلى مَنْ يَنْظُرُهُ أنَّهُ قِطْعَةٌ مِنَ النُّورِ هَبَطَتْ مِنَ السَّماء إلى عالَمِنا الْأَرْضِيِّ . ثُمَّ سَلَّمَ السَّائقُ عَلَيْهِ قائلاً : « تَحِيَّتِي إلَيْكَ يا « دَشْيَنْتا » . ألا تَعْرِفُنِي ؟ أنا « ماتالى » – حُوذِيُّ « إنْدِرا » الْعظِيمِ – أوْفَدَنِي لإحْضارِكَ إلى ساحَتِهِ الْمُقَدَّسَةِ . »

٣ – رِحْلَةٌ فِي الْفَضاء

ولا تَسَلْ عَنْ حَيْرَةِ « دَشْيَنْتا » مِمَّا رَأَى وسَمِعَ . فإنَّ « إنْدِرا » لَمْ يَدْعُ أحَدًا إلى حَضْرَتِهِ الْمُقَدَّسَةِ ، قَبْلَ هٰذِهِ الْمَرَّةِ . وهٰذا تَشْرِيفٌ لَمْ يَظْفَرْ بِهِ مَلِكٌ غَيْرُهُ مِنَ الْمُلوكِ . ولَمْ يَكَدْ يَسْتَقِرُّ فِي الْعَرَبَةِ ، حتَّى طارَتْ بِهِ فِي أطْباقِ الْفَضاء ، وما زالَتْ تَرْتَفِعُ حتَّى أَبْصَرَ مَمْلَكَتَهُ كأَنَّها حَبَّةُ سِمْسِمٍ .

* * *

وظَلَّتِ الْخَيْلُ تَنْهَبُ فَضاءَ الْجَوِّ نَهْبًا ، ثُمَّ وقَفَتِ الْعَرَبةُ فَجْأَةً بَيْنَ

السُّحُبِ ، وطلبَ « ماتالِي » مِنَ الْمَلِك « دَشْيَنْتا » أنْ يَنْزِلَ .

٤ – ساحَةُ « إنْدِرا »

وما كادَ يَسْتَقِرُّ بِهِ الْمُقامُ حتَّى تبَدَّدَتِ السُّحُبُ وذابَتْ فلَمْ يَبْقَ لَها أثَرٌ .

ثُمَّ رأى نَفْسَهُ وحِيدًا فِي عالَمٍ يفيضُ بِالنُّورِ الإلٰهِيِّ ، وسَمِعَ أغاريدَ الطُّيورِ وَأناشِيدَها الْعَذْبَةَ ، تُرَتِّلُها عَلَى أشْجارِها الْمُثْقَلَةِ بِأَحْسَنِ الأَزْهارِ . وأحَسَّ قَلْبُهُ أنَّهُ يَدْنُو من ساحَةِ « إنْدِرا » الْعظِيمِ .

وظَلَّ يُسائِلُ نفْسَهُ مَدْهُوشًا :

« أيُمْكِنُ أنْ يَظْهرَ « إنْدِرا » لِلأَناسِيِّ مِنْ أمْثالِنا ؟ »

٥ – قاهِرُ الْجَبابِرَةِ

ولَمْ يَظْهَرْ « إنْدِرا » ، بَلْ ظَهَرَ – أمامَهُ – صَبِيٌّ قَوِيُّ الْبَأْسِ ، مَفْتُولُ الْعضَلِ ، وقَدْ حمَل شِبْلاً بَيْنَ ذِراعَيْهِ . وظَلَّ الشِّبْلُ يُحاوِلُ الْفَكاكَ – بِقُوَّةٍ وعُنْفٍ – فَلا يَسْتَطِيعُ . وَلَمْ يَبْدُ على الصَّبِيِّ خَوْفٌ



أو اضْطِرابٌ . فدَهِشَ مِنْ شجاعَتِهِ ، وصاحَ — مِنْ فَرْطِ الدَّهَشِ والإعْجابِ — يَسْأَلُه عن اسْمِهِ . فأجابَهُ الصَّبِيُّ فِي غَيْرِ مُبالاةٍ : « لَسْتُ أعْرِفُ اسْمًا لِي ! عَلى أَنَّهُمْ يُنادُونَنِي — فِي بَعْضِ الأَحْيانِ — بِلَقَبِ : « قاهِرِ الْجَبابِرَةِ » لِأَنَّنِي أَغْلِبُ الْوُحوشَ الضَّارِيَةَ ، أَمَّا اسْمِيَ الْحَقِيقِيُّ فلا عِلْمَ لِي بِهِ . »

٦ — أُمُّ الصَّبِيِّ

فعَجِبَ الْمَلِكُ مِمَّا سَمِعَ ، وَشَعَرَ بِحُنُوٍّ عَظِيمٍ لهُ . وَقالَ في نَفْسِه : « لَقَدْ كُنْتُ أُمَنِّي نَفْسِي بِأَنْ أُنْجِبَ غُلامًا يَكُونُ وَلِيَّ عَهْدِي ، وَيَرِثُ مُلْكِي مِنْ بَعْدِي . وَكُنْتُ أُحِبُّ أَنْ أُسَمِّيَهُ « بَهارات » . ولٰكِنَّ حَظِّيَ الْعاثِرَ فَرَّقَ بَيْنِي وَبَيْنَ « سا كُنْتالا » . وَلَوْ بَقِيَتْ لَأَنْجَبَتْ لِي مِثْلَ هٰذا الْغُلامِ ! » ثُمَّ دَنا مِنْهُ ، ورَفَعَ ذِراعَيْهِ ، وَهُوَ يَهُمُّ بِمُعانَقَتِهِ . فارْتَدَّ الصَّبِيُّ إلى

الْخَلْفِ صائِحًا : « لَيْسَ لِأَحَدٍ أَنْ يَمَسَّنِي ! هَلُمِّي يا أُمَّاهُ فانظُرِي مَنْ هٰذا الْقادِمُ ؟ »

فَأَجابَهُ صَوْتٌ رَقيقٌ : « لَبَّيْكَ يا وَلَدِي ، فَإِنِّي قادِمَةٌ إِلَيْكَ . »

فَسَرَتِ الرِّعْشةُ في جِسْمِ « دَشْيَنْتا » ، وَخُيِّلَ إِلَيْهِ أَنَّهُ يَسْمَعُ صَوْتَ زَوْجِهِ . وَلاحَ لَهُ أَمَلٌ لَمْ يَكَدْ يَمُرُّ بِخاطِرِهِ حَتَّى تَمَثَّلَ أَمامَهُ حَقِيقَةً راهِنَةً . وَسُرْعانَ ما رَأَى « ساكُنْتالا » ماثِلَةً (واقِفَةً) أَمامَهُ — وَقَدْ عَلَتْ وَجْهَها صُفْرَةٌ وكآبَةٌ — وَلٰكِنَّ اصْفِرارَها وَحُزْنَها لَمْ يُقَلِّلا مِنْ جَمالِها ، فَقَدْ أَبْصَرَها أَكْثَرَ جَمالًا مِنْها في الْغابَةِ .

٧ — الصَّفاءُ بَعْدَ الْجَفاءِ

فَلَمَّا الْتَقَى بَصَرُها بِهِ ، لَمْ تُقْبِلْ عَلَيْهِ ، بَلْ وَقَفَتْ ساكِنَةً ، في إِباءٍ وَأَنَفَةٍ . ولٰكِنَّ « دَشْيَنْتا » أَسْرَعَ إِلَيْها ضارِعًا ، وَقالَ لَها مُسْتَعْطِفًا :

« لا تَنْفِرِي مِنِّي (لا تَتَباعَدِي عَنِّي) ، بَلِ اسْتَمِعِي إِلى قِصَّتِي ، ثُمَّ احْكُمِي فِيها بِما تَشائِينَ . »

فَأَنْصَتَتِ النّاسِكَةُ إِلى قِصَّتِهِ ، فَلَمّا عَرَفَتْها تَأَلَّقَ وَجْهُها (أَضاءَ وَلَمَعَ)



سُرُورًا ، وَأَدْرَكَتْ أَنَّ ذٰلِكَ مِنْ أَثَرِ لَعْنةِ السَّاحِرِ .

* * *

فسأَلَها « دشْيَنْتا » عَنْ ذٰلكَ السَّاحِرِ . فَقَصّتْ عَلَيْهِ قِصّتَها معهُ ، وَكَيْفَ أفقدَها خاتمَها — بَعْدَ أنْ لَعَنَها — وَكَيْفَ عاشَتْ تِلكَ السِّنين ، يتَجَدّدُ حُزْنُها كُلَّما ذَكَرَتْ قَسْوَةَ زَوْجِها عليْها .

٨ — جَبَلُ « إندرا »

فَقالَ لَها « دَشْيَنْتا » :

« ولٰكِنْ خَبِّرِيني : أَيْنَ كُنْتِ مُسْتَخْفِيَةً طُولَ هٰذِهِ السَّنَواتِ ؟ وَما أسْمُ هٰذا المَكانِ ؟ وَكَيْفَ حَلَلْتِهِ ؟ »

فَأَجابَتْهُ قائِلَةً :

« هٰذا جَبَلُ « إنْدرا » العَظيمِ . وَقدْ حَلَلْتُهُ بَعْدَ أنْ خَرَجْتُ مِنْ قَصْرِكَ

والهمُّ يكادُ يقتُلني . فارتمَيتُ على الأَرضِ باكيةً محزونةً .

فأرسَلَ إلَىَّ « إندرا » عربتَهُ ، فحملَتْني — منَ الأَرْضِ — إلى هذا المكانِ . »

فصاحَ الصبيُّ متعجِّبًا : « منْ هذا الرجُلُ الذي تكلِّمينَ يا أُمَّاهُ ؟ »
فأجابتْهُ ، ودموعُ الفرَحِ تنحدرُ منْ عينيْها : « هلُمَّ — يا ولَدِي — فعانقْهُ ، فإنَّهُ أبوكَ ! »

٩ — نصيحَةُ « ماتالى »

وأيقنَ الملكُ أنَّ سعادتَهُ قدْ تمَّتْ ، وأمانيَّهُ قدْ تحقَّقتْ . وحينئذٍ ظهرَ أمامَهُ السائقُ « ماتالى » : حُوذيُّ العرَبةِ الطائرَةِ ، وصاحَ بهِ :
« لقدْ بلغْتَ ما تمنَّيْتَ ، أليْسَ كذلكَ ؟ فارجِعْ إلى عالَمِكَ الأَرضِيِّ ، كما أمرَ « إندرا » العظيمُ ! »

* * *

ثُمَّ استأنفَ « ماتالى » حديثَهُ إلى الزوْجيْنِ ، ونصحَهما قائلا :
« هلُمَّ أيُّها الزوْجانِ الوفيَّانِ ، وارعَيا ولَدَكُما الشُّجاعَ ، فإنَّ لهُ لَشأنًا

عظيمًا فى الْفرُوسيَّةِ والشَّجاعَةِ . وسَيَكونُ رَأسَ أُسْرَةٍ كَريمَةٍ تُنْجِبُ أَشْجَعَ مُلوكِ الْهِنْدِ وَقادَتِها . »

١٠ — خاتِمَةُ القِصَّةِ

ثُمَّ أَقَلَّتْهُمُ (حَمَلَتْهُم) الْعرَبةُ إلى عالَمِهِمُ الْأَرْضِيِّ ، وهَبَطَتْ بِهِمْ أمامَ الْقَصْرِ الْمَلَكِيِّ . وَفَرِحَ الزَّوجانِ باجْتِماعِ الشَّمْلِ ، وسَمَّيا ولَدَهُما : الأميرَ « بهاراتَ » وَقَدْ صَدَقَ فيهِ قَوْلُ « ماتالى » .

وَعاشَ الْجَميعُ فى أَسْعَدِ حالٍ ، وَأَهْنإِ بالٍ .

مكتبة الكيلانى للاطفال

إنَّ هٰذِهِ الكُتُبَ – فى بابها – فتحٌ موَفَّقٌ . فهى تنقُلُ الأطفالَ إلى الْعِلْمِ ، وتَطْبَعُهُمْ – بإرادتِهِمْ – عليهِ ، ثُمَّ تُدارِجُ بَيْنَ خُطُواتِهِمْ ، وتُسايِرُ فيهِ مَلَكاتِهِمْ ، وتُنَشِّئُهُمْ عَلَى اللُّغَةِ الْفُصْحَى . وفى بَعْضِ ذٰلك كلُّ الْفضْلِ .

احمد فهمى العمروسى

. . . وإنِّى أُحيِّي فِيكُمْ مَجْهودًا مَشْكورًا ، يَنْحُو مَنْحَى الْعنايةِ فى الْبَحْثِ ، والْمُثابرَةِ على كشْف ما فى أَدَبِنا الْعربِىِّ منْ دُرَرٍ ثَمينَةٍ .

نَفعَ اللهُ بِعلمِكُمْ بِلادَنا العَزيزةَ ، والأقْطارَ الشّقيقةَ . التى تَقْدُرُ الأدَبَ العَربىَّ الرَّصينَ حقَّ قَدْرِهِ . . .

سابا حبشى

. . . وهٰذا هوَ الأستاذ « كامل كيلانى » الذى حفَلتْ مَكْتَباتُ الشَّرْقِ العَربىِّ — من أقْصاهُ إلى أقصاهُ — بمؤَلَّفاته وَدِراساتِه العَميقةِ لِفحُولِ البَيانِ وأَئِمـَّـةِ الشِّعْرِ ، ولا سيَّما « أَبُو العَلاءِ » . فهُوَ آيَةُ عَصْرِه فى الاخْتصاصِ بأبى العَلاءِ واكْتِناهِ أَدَبِه وَفَنِّهِ . . .

مفى العظم

رقم الإيداع		١٩٨٩ / ٥٦٣٣
الترقيم الدولى	٠-٢٧١١-٠٢-٩٧٧	ISBN

١ / ٨٩ / ٨٠

طبع بمطابع دار المعارف (ج.م.ع.)